ضـي

ضي : قصة قصيرة

زينب سالم

https://www.facebook.com/ZainabA.Salem

https://www.facebook.com/Magicalworld.ByZainabSalem/

رسوم :هاجر عبيد

https://www.facebook.com/profile.php?id=100000865304513

تنسيق: دنيا

https://www.facebook.com/donia.nona

زينب سالم

ضـــي

قصة قصيرة

الفصل الأول

كان يا ما كان

(1)

تعود البداية لحقبة زمنية قديمة ..

كان (عبدالغفار) رجلا فقيرا من قرية فقيرة للغاية ، تلقى تعليما بسيطا للغاية في صغره .. ثم توفى أبويه وعلى رغم من أن أبيه كان موظفا حكوميا إلا انه لم يكن ذا مركز هام .. لذا بعد وفاته أدرك (عبدالغفار) في سنوات شبابه المبكرة أنه لابد من أن يلحق بالركب ، فيرتحل ليكون أجيرًا في قرية من هاته القرى الغنية المجاورة. فلقد جرت العادة هكذا .. فكان فلاحي القرى الفقيرة ممن لا يمتلكون أرضا ولا دارا، يخرجون لقرى أغنى للعمل بها.

لم يكن له أهل بخلاف جدة عجوز كان يهتم بها .. ولم يذكر إن كان قد رآها أصغر يومًا.

صار يتنقل في عدة مواسم لعدد من القرى المجاورة ، ويعود لجدته ببعض المال اليسير .. الذي كانت تنصحه بألا ينفق منه مليما واحدا، فتتصرف هي

في قوت يومهم بشكل أو آخر بينما تقوم بادخار المال الذي يأتي بـه في جـرة تحتفظ بها..

وعاما بعد عام امتلئت الجرة وتلتها أخرى وأخرى...

وبعد أعوام أستيقظ (عبد الغفـار) يومـا ليجـد جدتـه وقـد فارقـت الحيـاة، فأنتقل لقرية نائية نوعا عن ما أعتاد، وقد علم أنه لن يعود لقريته ثانية إلا ليخرج جراته يوما ما .. إذا ما تحسن حاله في العمل، كان طموحا وتمنـى أن يصبح ... ربما ... ملاحظ عمال الأرض عما قريب.

كانت تلك القرية التي أنتقل إليها هي قرية (بهنس)، قريـة نظيفـة وتعتـبر من أكبر القرى ..

لذلك لا تستغنى عن أحد العمال أبـدا بـل هـي في حاجـة دائمـة لكثـير مـن العمالة، فكانت خيارا ممتازا له، وعلم أنها البيئة المناسبة لطموحه.

أعتاد أن يعمل طوال النهار فإذا جن الليـل يسـهر مـع رفاقـه يغنـون قلـيلا ويدخنون كثيرا، بضع سويعات ثم ينسحب الواحد تلو الآخر حيـث حشـيته لينام.

وفي ليلة ما .. بعدما خلد الجميع للنوم، جفا النوم عـين (عبـدالغفار) وطـار عنه بعيدا، فراودته فكرة أن ينهض ليتمشى قليلا عل النعاس يداعب جفنيه فيعود.

أخذته قدماه حيث الترعة فجلس على إحدى جانبيها ينظر للماء، ولوهلة خيل إليه أنه رأى طيفا على الجانب الآخر.

لم يعر للأمر أهتمام، فهو على كل حال دخن كثيرا الليلة ولا يمكن أن يعتمد على حواسه بشكل كامل.

عبث جواره لينتقي حجرا صغيرا يلقي به في الماء، فإذا بيده تصطدم بقدم! .. أجفل وكاد أن يقع في الترعة، لكنه تمالك نفسه وأعتدل واقفا ناظرا نحو المكان الذي يعتقد أن صاحب القدمان يقف به.

آه - يا إله الكون – أم نقول صاحبة القدمين !.

فلقد وجد في مواجهته مباشرة أجمل وجه وقعت عليه عيناه، وجه قسيم يزينه شعر طويل يصل للأرض لونه كلون الليل في منتصفه.

شعر بذهول شديد .. ومكث وقتا يتأمل تلك التي سحرته على غرة، حتى قاطعت تأمله : " هل تطفلت على خلوتك؟ " ..

كانت تتكلم لهجة أهل المدينة وقد أندهش لهذا ، لكنه لم يبد هذه الدهشة وهو يرد عليها : " لا، لم تفعلي " ..

- "إذا هل تسمح أن أنضم إليك؟ " ..

كان هذا أغرب وأروع شيء يحدث له، أفسح لها مجالا وعاد لمجلسه.

في هذه اللحظة اضطرب فكره تماما ولم يستطع ترتيب جملة واحدة ليقولها لها.. رغم رغبته الشديدة في الحديث معها، وكيف في وجود مثل هذه الساحرة يمكنه التفكير!

أهي صدمة ؟! ..

بقيا صامتان إلى أن استأذنها (عبدالغفار) في الذهاب ، لأن موعد استيقاظه شارف على الحلول وهو لم ينم بعد.

ولم ينتظر إجابتها - فلم يكن متأكدا مما سيحل به إذا ما سمع صوتها مرة أخرى ، - فلربما مكث جوارها للأبد لينال من هذا الصوت وهذا الوجه أكثر - بل خطى بسرعة مبتعدا عن مجال رؤيتها عائدا حيث الرفاق.

****

(2)

في الليلة التالية كان متلهفا لأنتهاء السهرة، يريد أن يعـود حيـث وجـدها أو بالأدق حيث وجدته هي.

صحيح أنه لا يعرف عنها أي شيء، حتى أسمها ! ..

وصحيح أنهما لم يتبادلا أي كلمات بخلاف سؤالها له عند لقائه، لكنه – عـلى كل حال – لم يكن يهتم بذلك، فقـد كـان يكفيـه أن كـل هـذا الجـمال قضى الليلة السابقة جالسا إلى جواره، وهو ما يطمح إليه الليلة أيضا.

أنتهت السهرة وذهب الجميع إلى أماكنهم بما فيهم هو ، لكنه بقـى مفتـوح العينين منتبها ومنتظرا تلـك اللحظـة التـي سـيغرق فيهـا رفاقـه في غياهـب النعاس.

وعلى عكس البارحة.. اليوم هو من يطرد النوم عن عينيه، وكما هـو متوقـع بعد هكذا يوم طويل سريعـا مـا غفـو، أطمـئن إلى انتظـام أنفـاس مـن هـم بالقرب منه ونهض ذاهبا لمقابلة من سحرته.

****

وصل لوجهته فوجدها بالفعل هناك - يا لحظه السعيد! - كان دائم الظن أن حظه تعس وأنه لا يقع سوى في المصائب ، ودائما ما تحل به كوارث ربما وجدت لتكون له فقط.. والآن أيكون حظه قد تبدل فعلا ؟! .

وكان من الأحرى به أن يحتاط لكننا نعلم أنه لن يفعل ..

ولم يفعل ! .

ألتفتت له وأبتسمت فتوهجت النجوم ..

أتخذ مجلسه إلى جوارها وجلسا صامتان لفترة إلى أن قطعت الصمت قائلة له : " هل تتزوجني؟ "

أجاب دون تفكير : " نعم " .

كان جنونا يقترب من الحماقة، أو حماقة تقترب من الجنون .. بالطبع هو كذلك، فهو لا يعرفها وحتما هي لا تعرفه أيضا، لا يعرفان أسماء بعضهما البعض حتى! .. فكيف يتزوجا ؟! لكنه كان مسحورا.

لم تطلب هي شيء سوى بيت خارج القرية، حيث لا أحد يذهب..

فهي - كما قالت - تحب الهدوء وتريد أن يتمتع بيتها بالخصوصية والسكينة، فلا يعكر صفوهما جار مزعج أو مار فضولي.

وافق وشعر بالأمتنان تجاه جدته التي أدخرت له كل مليم جمعه على مدار سنوات، وعلم أن اللحظة المناسبة لجلب مدخراته قد حلت .. فأخبرها أنه

سيتغيب ليوم ونصف فقط، وعليها ألا تقلق لأنه سيعود ليجعل لها ما أرادت.

وسافر لقريته فاستخرج جراته وعندما عاد كانت الكثير من الأمور قد تبدلت .. وأهمها أو ما يهم قصتنا هنا ..

أن فور وصوله سمع أن جثة الملاحظ وجِدَت تطفو في الترعة ، وقبل أن يفكر في الأمور أو يحاول البحث عن تفاصيل ما حدث - كرد فعل فضولي معتاد - وجد نفسه قد عين الملاحظ الجديد.

كان هذا أفضل من ما قد يخطر له في أجمل أحلامه سعادة ، زف الخبر إلى ساحرته ليلا جوار الترعة كالمعتاد وأخبرها أنه بدأ بالفعل في بناء منزلهما الذي أرادته .. والذي سيكون جنتهما الصغيرة على الأرض.

أبتسمت له فتوهجت النجوم كالعادة ، وقالت : " إذا إلى الغد "

ثم ذهبت .

لم يفارق مجلسه لفترة بعدما رحلت ، ثم نهض ليعود لمكانه هو الآخر وكان ما زال يمكث مع العمال فلم يرد أن ينتقل عدة مرات .. حيث ينتقل لمسكن الملاحظ السابق ثم إلى منزله .. ففضل المكوث مع العمال حتى ينتقل لمنزله الجديد مرة واحدة.

وعندما انتهت أعمال البناء وتزوجا.. قالت لـه أن أسـمها هـو (ضي) .. نظـر إليها بانبهار، بالفعل لابد أن يكون هذا هو أسمها فلو لم يكن يليق بها فإنـه من المؤكد لا يليق بأي كانت غيرها.

قالت له أنها من البندر (الحضر) وأن والديها توفيـا وعمهـا عاملهـا معاملـة الخادمـة، لـذلك هربـت وأسـتقلت أول سـيارة وجـدتها في محطـة سـيارات الأجرة ولم تكن تعلم وجهتها، ونزلت عند الترعة تلك الليلة.

كان يصدق كل ما تقول ، ولم يسأل عن أي مسألة إضافية ولم يستفسر فـيما قالته.

****

عاشا سنوات رائعة ، فكانت نعـم الزوجـة الشريكـة والصـديقة ، وقـد كـان يخرج كل يوم فجرا ليعود قبل الظهيرة بوقت قصير ، فيجدها قد أنهت كـل أعمال المنزل وتجلس منتظرة إياه بكامل زينتها وتألقها في بهو المنزل.

في البداية كان يتعجب لكل هذا النشاط وأنها دائمة الطاقة والحيوية ، لكنه كان يراها مثالية ومن هن مثلها – إن وجدن – ربما يستطعن فعـل مـا هـو أكثر، هو يشعر دائما أنها تستطيع فعل ما هـو أكـثر .. أطمـئن لهـذه الفكـرة فقد كان منبهرا بها على الدوام.

فصرف فكره عمدا عن هذه النقطة ولم يعد يفكر بها ..

إلى أن جاء يوم شعر فيه بـبعض التعـب إثـر شـدة الحـرارة .. فلـم يسـتطع مواصلة عمله * وعاد للمنزل مبكرا، ليجد أغـرب مشـهد يمكـن لشـخص أن يراه ..!

زوجته تجلس بمدخل البيت تعطي نفس (نفخة) للبابور (موقد الكيروسـين) وهي تطهو، بينما يدها الأخرى ممتدة لأعلى سطح المنزل .. تقلـب الملابـس المنشورة على حبل الغسيل.

وقف مشـدوها أمـام هـذا المشـهد لا يسـتطع الحـراك – وهـل يجـرؤ ؟! – تمردت أطرافه جميعها على طاعة أوامر مخه، والتفتت هي في هذه اللحظة ورأته ينظر لها فارغ الفاه جاحظ العينـان وفهمـت أنـه قـد رآهـا ، فعـادت لهيئتها البشرية وركضت نحوه في محاولة للحديث إليه ..فهي تحبه فعلا ولا تريد خسارته !، بينما هو ينظر لها لا يعلم ما هذه !!

إنه خائف بل مرعوب، وهي الآن – يا للكارثة! – آتية نحوه ..

كيف ظن أن حظه قد تبدل من قبل ؟!! .

وسقط (عبدالغفار) فاقد النطق .. فاقد الحركة .. فاقد الحياة.

* السطور القادمة تستند على قصة من التراث المصري إلى نهاية الفقرة.

الفصل الثاني

هكذا رغما عنك بدأت حياتك في التعقد والتشابك من ثم بدأت في الرعب.

وعلى الرغم من أن ما حدث كان رغما عنك .. إلا أنه كان نتيجة لما أقترفته يداك وزينه لك عقلك.

****

(1)

في مطلع الألفينات ..

يجلس (حاتم) * إلى مكتبه يدون بعض الأفكار أو للدقة يحاول استلهام بعض الأفكار ليدونها ، عندما تذكر حكاية ما حكتها له زوجته يوما نقلا عن جدودها ..

ويفترض أنها حكاية رعب من حكايات الفلكلور، تلك القصص التي كان يجلس الأطفال ليلا حول جدودهم ليحكوها لهم..

فيستمتعوا بشعور الترقب وتزحف القشعريرة على اناملهم الصغيرة وتمتد الى اجسادهم وهم منبهرون .. ينتظرون في كل ليلة المزيد ..

كانت قصة قصيرة سطحية الى حد ما ولكنها أفضل من لا شيء، فهو قد توقف تماما ولا يستطيع الكتابة مهما حاول اصطياد الأفكار، وها هو جالس منذ الصباح فلم يفتح الله عليه بفكرة واحدة ..

* حاتم : هو الأسوَد في أي شيء ويقال بأنّه الشؤم.

وهذا ليس بشأن اليوم فقط ولكنه على مدار الأيام العديدة الماضية.

لقد أصيب بسدة قد تبقيه للأبد خارج مجال الكتابة ما لم يتصرف بسرعة .. لذا وجد أنها فكرة لا بأس بها ، ليكتب هذه القصة ويضيف لها بعض التفاصيل ليحورها بعض الشيء،فعلى كل حال لا أحد يعرف هذه القصة أصلا ..

ولربما كانت من بنات أفكار جدود زوجته ولم يكن لها أساس في الفلكلور كما أزعمت .. وفي هذه الحالة لن يشكل ذلك خطرا ما، وعلى كل حال التجربة تستحق المخاطرة.. فهو لابد أن يطل على جمهوره بشيء ما وإلا فإنه في سبيله إلى النسيان.

كتب القصة ونشرت ، حققت نجاح لا بأس به أبدا ، وانبهر بها كثيرون.

كان سعيدا بهذا وعاودته روح الكاتب مرة أخرى وأنتقل لموضوعات أخرى يكتب فيها وعنها .. ونسى تماما ما كان بشأن هذه القصة ، وعلى الأحرى ربما نسى أيضا انها لم تكن قصته وبدأ يصدق أنها بالفعل وليدة أفكاره الأصيلة.

إلى أن جاء اليوم الذي تلقى فيه رسالة وجدها على مكتبه بالمنزل.

ورقة صغيرة لونها لا يمكن تمييزه والوقوف عليه ..

" ما هذه التقنية الغريبة ! " - فكر- .

ثم قلب الورقة ليجد مكتوب عليها : " لم يكن عليك السرقة! "

حدق في الورقة بذهول : " ما هذا الهراء ؟! من أين جاءت هذه ؟! "

نادى زوجته وأشار بالورقة : " ما هذه ؟ " ..

ردت زوجته : " ما هذه ! "..

قال : " أنا من سأل " ..

أجابت : " لا أدري، ربما كانت ورقة وقعت من إحدى مفكراتك .. أنتظر! .. نعم هذه من المفكرة السوداء، قارنها هكذا .."

أخرج المفكرة من درج المكتب وفتحها ..

كانت منها بالفعل ! أقسم لنفسه أنها منذ دقيقة واحدة لم يكن من الممكن الجزم بلونها حقا ! ..

أستغرق في أفكاره ونسى وجود زوجته تماما ، حتى أنه لم يسمع ما قالته متعجبة من شروده المتكرر قبل أن تخرج وتغلق الباب خلفها .

لم يكن يشعر بأي شيء من حوله لأن الذهول كان قد تملكه بالكامل ..

أنه شخص قلق بطبعه فلم يكن ينقصه إلا مثل هذه الترهات ! ليزداد قلقا على قلق ..

" ماذا يعني هذا ؟ " - فكر -

" وكيف حدث ؟!

هل يرسل لنفسه رسائل دون أن يشعر أو يتذكر ؟! ..

كان يعلم بوجود مرض نفسي يقوم المريض فيه بمثل هذه التصرفات .. لكن هذا ليس خطه ! فهل يقوم بتغيير خطه أيضا !!

كانت تلك من المرات القليلة التي يفكر فيها بحيادية ومنطقية ورغم ذلك لم يتوصل لإجابة شافية.

ثم انتقل بتفكيره لفحوى الرسالة نفسها ..

إنها جملة واحدة تتحدث عن شيء ما سرق .. وهو من سرقه .. فماذا سرق هو ؟؟ إنه لم يسرق شيئا في حياته !

ربما هي زوجته ؟

تريد خلق اضطراب داخله حتى لا يستطيع الكتابة فيتفرغ لقضاء أوقاته معها ! ..

ولم لا ؟ فلطالما شكت كثيرا من قلة جلوسهما وتحدثهما معا .. كما أنها تتهمه بعدم الأهتمام بها وشروده الدائم !.

آه ، لم يكن يوما يعتقد أن تكون زوجته بهذا الجحود والأفتراء .. تلك المدعية .. كيف تجرؤ أن تدعي عليه هكذا ؟!.

أطمئن لهذه الفكرة، وأزاح كل هذا جانبا ..

وبدأ في كتابة فصل جديد من الرواية التي يعمل عليها، وإن غدا لناظره قريب .. بعد أن يفرغ من عمله هذا، سيفكر كيف ينتزع الأعتراف أنتزاعا

من بين شفتي زوجتـه .. وكيـف يجعلهـا تنـدم عـلى فعلتهـا هـذه، أمـا الآن فالأبداع لا ينتظر.

****

(2)

في اليوم التالي عاد من الخارج ليجد ورقة أخرى .. مكتوب عليها :

" أتتجاهلني ؟!! "

كان هذا أكثر من ما يحتمل ..

نادى زوجته .. وبخها كثيرا .. وأخذ يكيل لها الأتهامات غير عابئ بمحاولاتها الصادقة لتهدئته ، ثم دفعها خارج الحجرة وصفق الباب بقوة.

كانت قد ترسخت في عقله فكرة أن زوجته هي من تفعل ذلك ..

ومن سواها يمكنه ؟ ؛

ثم أنه تذكر أن المفكرة لم تكن بالمنزل اليوم .. فقد كانت معه بالخارج .. إذا كيف أمكنها فعل ذلك ؟ ..

لم يكن بالطبع مستعدا لتقبل حقيقة أنه ربما قد اخطأ بتسرعه في حكمه عليها وتوبيخها بهذه الطريقة ، فقال لنفسه " ربما هي تحتفظ ببعض الأوراق من المفكرة حتى لا تضطر للقطع منها في كل مرة .. بالطبع هي فعلت " ..

فاستشاط غضبا على غضب وأخذ يسب ويتوعد لها ، من ثم خرج قليلا من الحجرة محاولا أستعادة بعضا من هدوءه وعندما عاد وجد في أنتظاره قصاصة : " لقد أخطئت مرة أخرى " .

خرج من الحجرة لا يلوى على شيء .. يتطاير الشرر من عينيه وتكاد أوردة عنقه تنفجر من فرط غضبه، بحث عن زوجته فوجدها ما زالت تبكي منذ توبيخه لها عصرا ، وقد كان الوقت قد تجاوز التاسعة بقليل ..

نهرها بعنف ولم يرأف بحالها من ثم طردها خارج المنزل.

وعندما عاد للداخل كانت قد بدأت الألعاب النارية.

****

ففور وصوله غرفة المكتب وأمام ناظريه أشتعلت الستائر وحدها .. حاول تبين مصدر هذه النيران وسبب الأشتعال ، لكنه لم يجد أي شيء ..

وبسرعة قاربت النيران السقف ومع هذا لم تمس الأثاث والأرضية بأي سوء ..

كان هذا هو المشهد المتمثل أمامه وكان هو ينظر ببلاهة.

ثم كما أشتعلت خمدت النيران فجأة وعاد كل شيء لما كان عليه، وكأن شيئا لم يحدث قط.

تراجع بظهره متوجسا لا يدري من أين ستأتي الصفعة القادمة ..

الخوف يحيط به من كل جانب .. فأين المهرب ؟

ودوى الصوت يقول : " إنه نابع منك "

شعر بالرعب أكثر ..

الصوت يتردد مرة أخرى : " أنت رهينة أفكارك "

هنا كان الرعب قد تملك منه حد الإغماء .. فوقع مغشيا عليه.

****

(3)

كم نسبة حدوث صدفة كهذه؟

كان هذا المنزل الذي أتخذه (حاتم) بيتا له ولزوجته – دون عن جميع المنازل – هو البيت الذي تسكنه (ضي).

ولقد أستمعت للقصة التي قصتها عليه زوجته عنها، لم تكن سعيدة بهذا .. فموت زوجها الأنسي كان يؤلمها ولم تكن تحتاج لأن تخلد القصة.

لكن ما أثار اندهاشها أن القصة تناقلت كما هي تماما دون زيادة أو نقصان، فيما عدا حديثها المتبادل مع زوجها الراحل بالطبع ..

فما كان أحد يعلم عنه أي شيء ومع ذلك هم أقتربوا كثيرا من أصل ما قيل بالفعل.

عندما نشر (حاتم) القصة بأسمه لم تبالي ولم يشغلها هذا بتاتا ، ثم لاحظت مؤخرا - بالمزامنة مع سطوع نجمه – سوء أخلاقه في معاملته لزوجته وقد ساءها هذا كثيرا لما تراه من ردة فعل زوجته الهادئة الصبورة ..

وعليه قررت أن تعابثه قليلا، عله يتقرب من زوجته ويترك خلقه المشينة ..

لكن بدلا من هذا ازداد فظاظة وازدادت أخلاقه سوءا، حتى أنه انهال على زوجته باتهامات لا أول لها من آخر ..

ثم طردها دون أن يفهم أو يعمل عقله ولو دقيقة.

كيف تكون أفكاره مسممة إلى هذا الحد ؟

لكن ماذا يعنيها في ذلك ؟!

لقد كانت تتسلى في المقام الأول وتتمنى لو وفقت في تقربهم لبعضهما البعض ، لكنها الآن أصبحت لا تطيقه .. ولذلك تريده أن يرحل.

إذا أرادت يمكنها أن تجعل حياته جحيما .. إذا لم لا تفعل ؟؟!

****

أفاق (حاتم) أرضا فتحسس وجهه ببطء ..

هاه إنه يشعر به ، حسنا .. أطمئن إلى أنه ما زال حيا.

حاول أن ينهض متكئا على مقعد بالقرب منه وهم بالجلوس ، فتحرك المقعد ليجد نفسه يفترش الأرض ثانية ..

تمتم بغيظ أكثر منه خوف : " ألن ننتهي ! "

كان بطبعه جبانا للغاية .. ولا يمكنه أن يمكث في مكان ما بمفرده دون أن ينير كل الأضواء المتاحة ، لذا وفي هذا الموقف تركز جل فكره على أنه خائف للغاية .. ولا يريد الشعور هكذا.

****

(4)

مرت الليلة دون أحداث وهو ما جعل رعبه يتفاقم، كـان يترقـب مصـيبة في كل لحظة تمر .. ثم أنه بعد سهر الليلة بأكملها أستسلم للنوم .

حينما أستيقظ مساءا شعر وكأن عظامه قد مر عليها قطار .. لكنه كان يعلم أن هذا بسبب نومه على المقعد لساعات.

تلفت حوله كان كل شيء كما تركه تماما.. لم تكن هناك مـن ألعـاب ، نهـض ببطء متثاقلا متلفتـا حولـه ذهـب الى الحـمام.. نظـر لنفسـه في المـرآة كـان شاحبا كقطعة ورقة قديمة .. حاول الانتعاش على أقصى ما أستطاع وخرج .

ذهب الى المطبخ لا شيء غريب هنا أيضا ، كل شيء يوحي بهدوء جم .. أعد قهوة سريعة وشطيرة دون براعة، وهو يتناول ذلك كله قال لنفسـه: " هـذه الخنفساء هي من كانت تفعل كل ذلك، فلأستعيد نشاطي ثـم أفكـر لهـا في أنتقام يليق بفعلتها "

وتناسى تماما ما حدث بعد ما طردها أمس .

كان يحتاج إلى أن يلقي اللوم على شخص ما .. وبالتأكيد لن يستطيع لوم شيء لا يراه ولا يعلم ما هو.

كانت (ضي) تراقبه، وسمعت تقريعه وتوعده لزوجته .. كما أنه بقى ينعتها بأقذع الصفات بعد ما أنتهى من فطوره وحتى رتب منضدة مكتبه ليجلس إليها.

قالت لنفسها " لا بأس، فليحكم الخناق حول نفسه"

****

لم يكن معتادا جلب ولو كوب ماء لنفسه لذلك شعر بمجهود لا يوصف وهو يعد القهوة والشطيرة ثم يحاول ترتيب أوراقه على مكتبه كيفما أتفق .

ثم جلس أمام مكتبه ينظر لما قام به، لم يعجبه صراحة ولكنه لم يكن ليعترف .. قال لنفسه " رائع والآن لأعود للكتابة في هدوء "

تركته (ضي) هذه الليلة أيضا ولم تقترب منه بتاتا ، مع هذا لم يكتب سوى كلمتين أثنتين ولم يكونا ذا معنى.

في ساعة متأخرة نظر للساعة على مكتبه انها الثالثة صباحا ..

نهض ليدخل حجرة نومه ولم يكن قد دخلها منذ يوم مضى ، كانت مرتبة كما تركتها زوجته .

ألقى بنفسه على الفراش وراح في نوم عميق.

أستيقظ صباحا شاعرا ان كل ما حدث قبلا كان من الماضي، وقرر ان يستمتع بوجوده منفردا في المنزل ، حاول ان يبعد عن تفكيره الرهبة المتزايدة داخله بوجود شيء ما حوله .

وصدق حدسه .. فما أن لمست قدماه خارج الغرفة حتى أشتعلت الستائر من حوله ، حاول التراجع لغرفته مرة أخرى ولكنه أصطدم ببابها المغلق .. حاول فتحه دون جدوى .. كان موصد ، ولكن كيف ؟ لم يكن له قُفْل أساسا ! ومن جديد وقع مغشيا عليه.

توالت الأحداث في الأيام التالية فتارة يتعثر في اللا شيء، وتارة يجد أوراقه مبعثرة في كل مكان أو يعثر على أقلامه محطمة والحبر يغرق كل شيء.

ثم ذات ليلة بينما هو مستلقي على الفراش يحاول اقناع عينيه أن تسدل جفونه عليها .. محاولا النوم باستماته، وجد انعكاسات على زجاج النافذة لأشياء تمر بالردهة خارج حجرته .. بصعوبة استطاع ان ينهض وأغلق الباب بقوة وعاد الى فراشه يرتجف بشدة .. ولكن الخيالات لم تختف بل تزايدت .. حتى باتت وكأنه يرى ممر لمؤسسة حكومية ، تمسك بشرشف الفراش وقد قرر أن غدا سيعيد زوجته للمنزل.

لم يكن يشعر بالأسف لأنه اخطأ بحقها وظن بها الظنون ، لم يفكر بذلك حتى ..

كل ما كان يهتم له الآن أنه لم يعد يتحمل أن يمكث في هذا المنزل بمفـرده ، فقد أستبد به الرعب تماما ولم يعد يمكنه التظاهر بالشجاعة أكثر.

****

(5)

لم تكن (ضي) سعيدة كثيرا بما تفعله ب (حاتم) ولكنها لم تعد تطيقه، وما عسى شبحا مثلها إلا أن يفعل ما تجيده كل الأشباح..

وفي هذا الصباح ضحكت بشدة بسببه ، فعندما كان يتهيأ للنزول .. وقف أمام المرآة ليعدل من هندامه .. يثني هذا يضبط ذاك ، حين طالعته بؤرة سوداء تبتلع المرآة شيئا فشيئا ..

أغمض عيناه وفتحها عدة مرات فجاءته نفس النتيجة .. زفر بضيق وألتفت مبتعدا فتعثر في طرف البساط ..

الحقيقة انها لم تكن لها أدنى تدخل بتعثره هذا ولا بتعثره قبل ذلك ، فهو منذ أن شاهد النيران مشتعلة بالستائر وهو يتصرف بتخبط شديد وكل تحركاته مترنحة فيتسبب لنفسه بالكثير من الحوادث..

وهي تكاد تكون متيقنة من أنه يرجع كل ذلك إليها ..

عندما خرج إلى الطريق خرجت خلفه .. فإذا بكلب يقف مسالم تماما جوار حائط منزل يلوك شيء ما .. رآها فكشر عن أنيابه وأتخذ وضعا متحفزا بمقابل (حاتم) ، فشعر الاخير بالرعب وأطلق ساقيه للريح يعدو مبتعدا ..

اثار هذا المشهد ضحكها بشدة .. ومع انه لاحظ بالطبع أن الكلب لم يلحق به وذلك لأنه كان متحفزا لها هي .. إلا أنه أستمر في الركض على كل حال.

وكان هذا هو اليوم الذي أعاد زوجته فيه إلى المنزل..

رأتهم وهم قادمون من بعيد كان يلف يده حول كتفها ويحدثها بصوت خفيض ، وهي تبتسم وعيناها تنطق سعادة .. رفع (حاتم) عينه للحظات فتلاقت مع عينا (ضي) .. لم يرها بالطبع ولكنها رأت نفاقه واضحا في عينيه .. كيف تنخدع زوجته فيه ؟ .. كيف تثق به مع عينان كهذه ..

ودت لو صرخت بها "انه يكذب عليك، أعادك فقط لأنه يخشى التواجد معي وحده .. لا يشعر بأي ذنب تجاهك" ، لكنها لم تكن على أستعداد أن تعلمها بذلك بأي شكل كان .. لم تكن على أستعداد لكسر قلبها ..

فلقد جربت من قبل الحزن على المحبوب وتعلم وطئته .. صحيح أن زوجها قد مات ولم يكذب عليها أو يخونها ، وشتان بين هذا وذاك ..

لكنها قدرت أن الموت ربما يكون أهون من الخيانة.

****

(6)

مرت عدة أيام و(ضي) تفكر في كيفية مضايقته دون أن تؤذي زوجته ..
كان قد هدأ نوعا بعدما مر الكثير من الوقت دون حدوث أي شيء غريب، وهذا أعاد اليه فكرة كون زوجته كانت السبب بشكل ما .. أستغرقته هذه الأفكار للغاية فبدا وكأنها تسيطر على كل فكره كل الوقت ..
من ثم نسى كل ذلك وعاد لهواياته المحببة ، لوم زوجته على كل ما يحدث في الحياة .. الفطور تأخر .. الغداء ليس شهيا دائما ما يكون .. لقد نسيت مفاتيح السيارة في عملي اليوم كان يجب أن تذكريني ، رغم انها لم تكن معه بالطبع أصلا ! ..
لقد أصطدم إصبع قدمي الصغير بالكومود .. وهكذا ..؛ حتى ما كان ينقص مجموعة الأتهامات هذه إلا أن يتهمها انها السبب في الزلازل أو البراكين التي تحدث لبعض الدول.

كانت (ضي) تراقب كل ذلك وتتميز غيظا .. فقد كانت مندهشة لوجود بشر بهذه الصفات المريعة .. الحقيقة أنها لم تكن قد رأت الكثير من البشر منذ موت زوجها .. فهل اصبح العالم بالخارج هكذا فعلا؟ ..

وفي يوم لاحق عاد للمنزل متأخرا للغاية .. زوجته كانت تنتظره، أعدت له عشاءا خفيفا وذهبا الى الفراش عندما بدأ عواء الكلاب بالخارج وبدا وكأنهم يتشاكسون على شيء ما .. تذمر وأخذ يلقي عليهم اللعنات وبعد قليل هدأت الأجواء فذهب في النوم ..

في الصباح عندما فتح الباب ليذهب الى عمله .. وجد بقايا أطعمة جافة متناثرة يبدو أن الكلاب قد جاءت بها هنا ليلا .. كما انهم لوثوا بفضلاتهم الدرج للغاية .. مما يعني ان أحدهم قد ترك باب المنزل مفتوحا ..

وعلى الرغم من أن المنزل لا يقطن به إلاهم وهو من جاء متأخرا ليلا أي انه كان آخر من دخل البيت إذا هو من ترك الباب مفتوحا بالأسفل .. إلا أنه أخذ يكيل لزوجته الاتهامات كما العادة ..

وبغضب شديد أغلق الباب بقوة وألتفت ليهبط بحركة حادة فأختل توازنه وسقط على الدرج مصطدما برأسه أثناء سقوطه وحتى هبوطه على الأرض .. سمعت الزوجة صوت الجلبة والسقوط .. فتحت الباب بسرعة وكانت (ضي) تسبقها بعدة خطوات شاهدت ما حدث له وقدرت أنه على الأرجح لن يظل على قيد الحياة إلا مشلولا .. مرت تصرفاته سريعا في ذهنها فقالت

لنفسها : "هذا إن عاش سوف يجعل الحياة لزوجته جحيما مقيم .. يجب أن يموت" ..

كانت الزوجة تهبط بسرعة وقلبها يتقافز خوفا وقلقا على زوجها فقطعت عليها (ضي) الطريق متمثلة في صورة (حاتم) .. توقفت الزوجة مشدوهة تنقل بصرها ما بين (حاتم) الذي تلمحه بالأسفل غارق بدمه وبين (حاتم) الذي يقف سليما أمامها ..

تشوش ذهنها فتسمرت مكانها لا تدري ماذا تفعل ؟

تناول (حاتم) يديها وقال لها " ماذا بكِ؟ "

أجابت " أنت هناك بالأسفل تموت"

قال لها : " بل أنا هنا معكِ، دعينا نعود للداخل لأنني اتألم .. فلقد كدت أن أسقط وألتوت قدمي بشدة .. هلا أحضرتي لي بعض الدهان ورباط ضاغط؟ "

اتكئ على الزوجة وهو يعرج قليلا ودلفا إلى المنزل .. جلس (حاتم/ضي) على أول مقعد صادفه داخل الشقة وهو يتظاهر بأن قدمه تؤلمه وقد ظهرت خمشات في يده لاحظتها الزوجة، فاختلج قلبها حزنا على ألمه.. من ثم تركته لتأتي بصندوق الاسعافات وهي ما تزال مشوشة غير مدركة تماما لما يحدث..

الخاتمة

فور أن توارت الزوجة قامت (ضي) من خلفها وهي لا تراها ولمست رأسها بخفة فأنستها ما قد مر خلال الساعات الماضية .. ثم عادت إلى المقعد تنتظر التالي ..

خرجت الزوجة بعد قليل ..

وعندما رأت زوجها يجلس بهدوء في الصالة تفاجأت ..

قالت له : "متى عدت من العمل ؟ ، لم أسمع الباب .. هل أنت بخير ؟"

أجاب : "نعم لكني سوف اسافر لأنجز بعض الأمور المتعلقة بالعمل .. وسوف أعود سريعا لا تقلقي"

كانت متوجسة لهذه النبرة اللطيفة فهي لم تعتد هذا اللطف من زوجها في العادة، ولكنها سرت للهجته هذه كثيرا وتمنت لو تدوم ..

جهزت له الحقيبة وودعته عند الباب .. وقبل أن تغلق، نظرت للدرج وقالت: "يا لها من فوضى، لابد وأن أستدعي (أم محفوظ) لتنظف هذا سريعا"

أبتسم لها وغادر بعدما تأكد من أنها أغلقت الباب خلفه .. والآن عادت (ضي) كما كانت .. كانت مبتهجة للغاية فقد تأكدت أن (حاتم) قد مات أخيرا .. وحان لها أن تختفي بهيأته لتكتشف الزوجة الجثة المتكومة بالأسفل ..

زوجها الأنسي مات في الماضي دون أن تقصد التسبب في موته أو تشتهيه .. أما (حاتم) فقد أستحق أن تقتله عمدا ، فما قتله أولا إلا عجرفته وسوء خلقه.

عادت للداخل ك (ضي) تأملت الزوجة .. كانت تعلم أنها ستحزن كثيرا وطويلا لكنها ستتجاوز هذا على أي حال ..

فألم تتجاوزه هي قبلا؟؟.

– تمت –

"وقـف مشـدوها أمـام هـذا المشـهد لا يسـتطع الحـراك - وهـل يجـرؤ ؟! - تمـردت أطرافـه جميعهـا عـلى طاعـة أوامـر مخـه، والتفتـت هـي في هـذه اللحظـة ورأتـه ينظـر لها فارغ الفاه جاحظ العينان وفهمت أنه قد رآها."